



منهج أبي ذر الخثني في تفسير غريب السيرة^(٥)

للدكتور عبد الكريم خليفة

كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن نسبه وأخباره قبل البعث وبعد ، تكون جزءاً مهماً مما عني المحققون بروايته . وما لبث هذا الموضوع المهم أن استغل في مؤلفات خاصة وتوالي المصنفون في هذه السيرة العطرة في سلاسل متوالية من الطبقات حتى نجد أنفسنا أمام محمد بن إسحاق بن عمار (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) ، عمدة من أتى بعده في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه .

وأصبحت تعرف باسم «سيرة ابن هشام» . وفي القرن السادس الهجري تناول الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي المالكى الأندلسي (المتوفى سنة ٥٨١ هـ) سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتعقب ابن إسحاق وابن هشام ، فيما أجبوا بالتحريير وال ضبط ، وبالشرح والاستدراك عليهما ، فوضع كتابه الموسوم « الروض الأتق » ، ونهج في تصنيفه هذا منهجاً موسوعياً ، فجاء كتابه هذا كتاباً آخر في السيرة .

وفي هذا القرن نجد الإمام أباً ذر الخثني أحد أئمة العربية المشهورين في الأندلس ، (المتوفى بمدينة فاس سنة ٦٠٤ هـ) وهو من معاصري السهيلي ، تناول كتاب « سيرة ابن هشام » فيشرح غريبه ، ونهج

وقد روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري الماعزى (المتوفى سنة ٢١٨ هـ) سيرة ابن إسحاق عن زياد ابن عبد الله البكائي (المتوفى سنة ١٨٣ هـ) ،

(٥) لقي هذا البحث في الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٢ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٤ من

أبريل سنة ١٩٩٢ م .

في تصنيفه هذا منهجا لغويا يختلف عن منهج السهيلي .

والخشني صاحب شرح غريب سيرة ابن هشام هو مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشني ، من أهل جيان ، يكنى أبا ذر ، ويعرف بابن أبي ركب . والأرجح أن نسبة الخشني تعود إلى قبيلة خثين القضاعية^(١)

وقد وصفته المصادر بأنه كان أحد الأئمة المتقدمين ضبطاً وتقيفاً ، واحد المعتمد عليهم في علم اللغة والآداب ، إماماً في العربية ، عالماً بكتاب مسيوه . وكان نقاداً للشعر عالماً به ، مطلق العنان في معرفة أخبار العرب وإيامها وأشعارها ولغاتها .

ومن أهم مصنفات أبي ذر الخشني كتابه الموسوم : « الإملاء المختصر في شرح غريب السير » وهو في حقيقة الأمر شرح غريب السيرة التي صنفها ابن هشام

ولا شك أن هذا هو الدافع الذي جعل السيوطي ، وهو مستأنس به ، يذكره في كتابه البقية بقوله : « من تصانيفه (أي الخشني) الإملاء على سيرة ابن هشام »^(٢) .

وضع الخشني تصنيفه هذا في عشرين جزءاً ، وذكر أنه روى له كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله بن محمد بن إسحاق . ومن الواضح أن هذا التصنيف كان ثمرة مجلسه للإقراء والتدريس فقد جاء في مقدمة الكتاب ما يوضح الغاية من وضع هذا الكتاب ، ويحدد السمات الأساسية لهذا المنهج اللغوي الذي تحا به نحوا يخالف منهج معاصره السهيلي في كتابه « الروض الأثف » . يقول أبو ذر الخشني في مقلته : « وبعد ، فهذا إملاء أمليته من حفظي بلفظي على كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي

(١) في ترجمة حياة أبي ذر الخشني ، أنظر : مقدمة كتابنا « الإملاء المختصر في شرح غريب السير » ص ١١ - ٢٦ .

(٢) البقية ج ٢ ص ٢٨٨ .

تقدم محمد بن إسحاق إلى جمعها
وتلخيصها ، وعنى عبد الملك بن هشام
بعده بتلخيصها وتلخيصها ، أَرَأَيْتَ لِمَ شَمِعَ هَذَا
الْكِتَابَ مِنِّي وَقَدِدتْ رَوَايَاتِهِ بِطَرَفِهَا عَنِّي ،
قَصَدْتُ فِيهِ شَرْحَ مَا اسْتَبْهَمَ مِنْ غَرِيبِهِ
وَمَعَانِيهِ ، وَلِيُفْصَحَ مَا التَبَسَ تَفْسِيرُهُ عَلَى
حَامِلِهِ وَرَوَايِهِ مَعَ اخْتِصَارٍ لَا يُخْلِلُ
وَلِيُجَارَ يَتِمُّ بِهِ الْبَيَانُ وَيَسْتَقِلَّ ، لَمْ يُقْصَدْ
فِيهِ قَصْدُ التَّأْلِيفِ فَتَمَدَّ أَطْنَابُهُ ، وَلَا يُنْصَحُ
بِهِ نَحْوُ التَّصْنِيفِ فَتَمَدَّ فُصُولُهُ وَأَبْوَابُهُ ،
وَإِنَّمَا هِيَ عَجَالَةٌ الْخَطَاطِرِ وَضَنِيَّةُ النَّاطِرِ ، فِيمَ
عَرِضَ عَلَى هَذَا الْإِمْلَاءِ بَعْدَ كِمَالِهِ
تَصَفِيحَتُهُ ، وَرُغِبَ فِي حِمْلِهِ عَنِّي ، فَبَعْدَ
لَايَ مَا أَذْنَتْ فِي ذَلِكَ وَأَبْهَتَهُ ، وَاللَّهُ
سَبْحَانَهُ يَنْفَعُنَا بِمَا قَصَدْنَا ، وَيَجْزِلُ ثَوَابُنَا
عَلَى مَا ابْتَغَيْنَاهُ وَتَوَخَّيْنَاهُ . . . إلخ ^(١) .

ففى هذه المقدمة المختصرة ، حدد
المختص طيعة وضع هذا العمل اللغوى ،
وبين أهدافه وأشار إلى معالم المنهج الذى
اتبعه . فهو إملاء على كتاب « مسيرة ابن

هشام » ، سُمِعَ مِنْهُ وَقَدِدتْ رَوَايَاتُهُ بِطَرَفِهَا
عَنْ إِبْرَاهِيمَ تَصَدَّرَ لِلتَّنْقِيهِ . فَمِنْ الْمَعْرُوفِ
أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الْعَرَبِيَّةَ فِى أَهَمِّ مَرَاكِزِ
الْإِشْعَاعِ الثَّقَافِيِّ وَالْمُلْكِ فِى ذَلِكَ الْوَقْتُ
فِى الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ . فَتَحَدَّثْنَا الرِّوَايَاتِ
أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الْعَرَبِيَّةَ بِمَسْجِدِ ابْنِ الرَّمْلَكِ
بِأَشْبِيلِيَّةٍ ، وَكَذَلِكَ بِجِيَّانَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَدِينِ
الَّتِى أَحْبَبَهَا ، إِلَى أَنْ اسْتَوْطِنَ بِأَخْرَجَ مَدِينَةَ
فَاسٍ وَأَقَامَ بِهَا يَقْرَأُ الْعَرَبِيَّةَ ^(٢)

وتسترعى انتباهنا فى هذه المقدمة
قضايا عدة تستحق الوقوف عندها والتأمل
فيها . فهو « إملاء » من « حفظه بلفظه أملاء »
على طلبته أو أن سُمِعَ هَذَا الْكِتَابَ مِنْهُ ،
وقدت رواياته بطرقها عنه وإن كان مع
الأسف لم يحدد لنا زمان سماعه منه ولا
المكان الذى أملاء فيه .

وأوضح كذلك الهدف الذى تَوَخَّاهُ
من وضع هذا الكتاب إذ يقول : « قصدت
فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه » ،
فلا بد من أن نحدد مفهوم « الغريب » عند

(١) الإملاء المختصر ، ج ١ ص ٧٢

(٢) انظر : تكملة العلة ، سفر الأول ، ص ٣٨٦

أبي ذر ، وإن نيين منهجه في « شرح ما استنبههم من المعاني » ففي ذلك يتجاوز شرح الغريب من الالفاظ إلى الحديث عن « معنى المعنى » ، فيما استنبههم من المعاني . . . و « ليما التيسر تفسيره على حامله وراويه » . . . وإن أسلوبه في ذلك كله هو الاختصار الذي لا يُخل والإيجاز الذي يتم به اليان ويستقل . . . وإن قوله في وصف منهجه « لم يُقصد فيه قصد التأليف فتد اطنابه ، ولا ينحى به نحو التصنيف لتمهد فصوله وأبوابه » ، ليُفهم على صائق الدارس البحث عن السمات المميزة التي تميز بها منهج الخشنى عن شرحه لما استنبههم من غريب الكتاب ومعانيه . . . وإن كان أجمل القصد من ذلك كله عندما وصف مبادرته هذه بقوله : « وإنما هي حباله الخاطر وخية الكاظم » .

لقد نهج أبو ذر الخشنى في كتابه هذا منهجاً لغوياً خاصاً يظهر فيه كثير من

سمات المنهج المعجمي ، وهو في الوقت ذاته يتعد من حيث الغاية والأسلوب عن كونه كتاباً في السيرة .

كان الخشنى كما وصفه ابن سعيد من عظماء نهضة الأندلس ، وقد تصدّى لتدريس كتاب سيويه . ومن مصنفاته الشهيرة : مصنف كبير في شرح سيويه ، وكتاب « شرح الإيضاح » وكتاب « شرح الجمل »^(١) وكان على حد تعبير ابن الأبار « رئيساً في صناعة العربية ، عالمياً بها ، غالياً عليها ، درمها حياته كلها »^(٢)

وإن لغوياً هذا شأنه ، لابد أن يكون على صلة وثيقة بالمتاهج المعجمية العربية - التي تطورت تطوراً واسعاً منذ الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري حتى وفاة أبي ذر الخشنى في أوائل القرن السابع الهجري ، ومن أقصى المشرق في أفاراب وخراسان إلى الأندلس ، مروراً بالعراق والشام ومصر . . . ومن أشهر هذه المعجمات : كتاب العين للخليل بن أحمد

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ص ٤٧٧ .
(٢) انظر : تكملة الصلة ، السفر الأول ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(المتوفى سنة ١٧٠ هـ) والتذهيب للأزهري . (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) .
والصاحح للجوهري . (المتوفى سنة ٣٩٣ هـ)
والحكم لابن سيده . (المتوفى سنة ٤٥١ هـ)
والأمالي لابن بري (المتوفى سنة ٦٥١ هـ)
والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير
(المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) . وإذا تذكرنا أن
الحسنى توفى سنة ٦٠٤ هـ ، بدأ لنا
واضحاً ، مكانة هذه المعجمات في تكوين
المنهج المعجمي بصورة عامة ، ومنهج أبي
ذر الحشني في تفسير غريب السيرة . وربما
كان من الأهمية بمكان طرح التساؤل حول
مدى العلاقة بين « النهاية في غريب
الحديث » لابن الأثير بصورة خاصة وشرح
غريب السيرة للحشني . وإذا استثنينا كتاب
« العين » ، نجد أن للمعجمات الخمسة
الأخرى هي المصادر التي اعتمدها ابن
منظور في القرن الثامن الهجري ، في وضع
معجمه المشهور « لسان العرب » .
ولا شك أن اختيار ابن منظور هذه
المعجمات بالذات له دلالات منهجية
ولغوية وثقافية واجتماعية لا يتسع المقام
لبحثها . ونحن إذا نظرنا إلى جميع هذه

للمعاجم والمصنفات الأخرى التي عنيبت
بجمع ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي
الشريف وكذلك الألفاظ الاصطلاحية
وشرحها وتفسيرها ، إنما تتحو جميعها
منحى معيّن في دراسة معاني الألفاظ .

وبما كانت أبرز ظاهرة تميز المنهج
اللغوي الذي سلكه أبو ذر الحشني في
شرحه غريب السيرة ، حرصه على تفسير
الألفاظ بحسب السياق ومن خلال
النصوص . فهو يبحث عن استيعاب المعنى
من خلال الدلالة التي تحملها اللفظة في
سياق الكلام ، سواء أكان ذلك من خلال
سياق المثل أم من خلال سياق المقام . فقد
يكون للفظ الواحدة معان متعددة تتطلب
في الظهور بحسب سياق الكلام وإيحاءاته
وما يضيفه من ظلال على المعنى .

فالحسنى يورد العبارة التي تشتمل على
اللفظة التي يريد شرحها ، وغالباً ما يبدأها
بكلمة « وقوله » وهذا منهج عام يطرد في
هذا الكتاب الجليل ، ونمثل على ذلك بما
يلي : قوله : « مِنْ ظُلْمَةٍ يَعْنِي مِنْ جِهَةِ
الْبَحْرِ » (ج ١ ص ٧٧) .

السياق تعنى « القرون » ، وقد درج على استعمال كلمة « هنا » لتدل على معنى خاص فى هذا السياق .

وقوله : « واسطوان جمع أسطوانة وهى السارية ، وأراد بها هنا موضع الراهب المرتفع » (ج ١ ص ٨٥) .

أورد الخشنى لفظة « أسطوان » فى صيغة الجمع وذكر مفردا ، ووضع معناها اللغوى ، ثم وضع معناها المقصود فى سياق الكلام ، فقال : وأراد بها هنا موضع الراهب المرتفع .

وقوله : « الوتر هنا طلب الثار » (ج ١ ص ٨٨) .

فالخشنى يرى أن « الوتر » فى هذا المقام يعنى طلب الثار .

وقوله : « والحاصب هنا الحجارة » (ج ١ ص ٩٤) .

ويستعمل الخشنى للإشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام من معنى ألفاظاً مثل : « هنا » و « ها هنا » و « يعنى »

فالخشنى يرى أن معنى « ظلمة » فى هذا المقام هو « أنه من جهة البحر » وهو بحسب رايه ما عناه القائل ، ولم يعرض الخشنى المعانى المحتمية لهذه اللفظة . وكذلك قوله « إنها حربٌ رباعية » أراد إنها حربٌ فنية ، فاستعار لها من الرباعية (ج ١ ص ٧٩) .

واستدل الخشنى على هذا المعنى من السياق ، فقال : « كما قال : الحربُ أولُ ما تكون فنيةً تعنى بمسيرتها لكلِّ جهول » .

وقوله : « وأبدانها جمع بدنٍ وهى الدرع هنا » .

فكلمة « بدن » تدل على معانٍ مختلفة ، ولكن الخشنى يرى أنها فى هذا السياق تعنى « الدرع » وقد نص على ذلك بقوله : « هنا » .

وقوله : « ذات الرؤوس السبعة » يعنى بالرؤوس هنا القرون التى على رأسها ، (ج ١ ص ٨٣) .

فكلمة « الرؤوس » تدل على معانٍ مختلفة ، ولكن الخشنى يرى أنها فى هذا

وهـ يعنى به « و » يريد « والأمثلة على ذلك كثيرة ومطردة فى جميع اجزاء الكتاب ... ومنها :

« السافى هنا الذى غطاه الثراب . يقال : سَفَتَ الريحُ الثرابَ (ج ١ ص ٩٥) اورد الحشنى للمعنى السياقى ، ثم ذكر المعنى اللغوى من خلال المثال الذى اوردته إذ إن اسم الفاعل من الفعل الثلاثى «سفى» هو « سافى » ، ولكن المعنى السياقى جاء على غير ذلك .

وقد يستعمل الحشنى فى تفسيره المعنى الباقى كلمة « يعنى » كما ذكرناه فى المثال ذلك : « وينو الاحرار يعنى الفرس » (ج ١ ص ٩٩) .

« وَتَشَلَّفُ عِظَامُ الاشخاص يعنى به القُطُوس » (ج ١ ص ٩٩) .

فقد اورد المعنى اللغوى ثم لورد المعنى السياقى الذى يقتضيه المقام .

وقوله : « وَالزَّمْخَرُ الْقَصَبُ السَّابِسُ يعنى قَصَبُ الشَّاب » (ج ١ ص ٩٩) .

وقوله : « الإسجبال إرخساء الثوب » وهذا يريد به الخيلاء والإعجاب » (ج ١ ص ٩٩) .

فقد شرح الحشنى معنى « الإسجبال » فى اللفظة ، وشرح معناها فى سياق الكلام ، وهذا ما عبّر عنه فى مقدمته فى حديثه عن قصده من وضع هذا الشرح بما أسماه « غنية الناظر » .

وقد يستعمل الحشنى لفظة « يريد » فى الإشارة إلى المعنى السياقى أو المعنى الذى يقتضيه المقام ومن ذلك :

وقوله : « وَلَاةُ مُلْكٍ » يريد « الذين يدبّرون أمر الناس ويصلحونه » والأمثلة على ذلك كثيرة ومطردة ومنها :

وقوله : « وتوالبها جمع قوتلب » والتوتلب ولد الحمار ، فجعله هنا للبالغين (ج ١ ص ١٠٠) .

وقوله : « يَرِيشُ الله فى الدنيا ويَبْرِى » يريد أن « الله تعالى يضع » وهذا الصنم لا ينفع » (ج ١ ص ١٠٤) .

وقوله : « فلا وَرَبُّ الْأَمْنَاتِ الْفُطُنُ » ،
يعنى حمام مكة ، والْفُطُنُ المقبحات . يقال
فُطُنَ بالمكان إذا أقام فيه .^(١)

فقد أورد الخشنى المعنى وفق سياق
الكلام ، ثم أورد المعنى اللغوى ، وهكذا
يستمر الخشنى فى هذا المنهج اللغوى فى
تفسيره غريب البيرة ، الفاظا ومعانى .

ولا شك أن الخشنى لم يكن مبتدعاً
لهذا المنهج اللغوى ، ولكنه نحا فيه منحى
معجمياً مد ظلاله بصورة رئيسية على
القصاصد والمقطوعات التى وردت فى
البيرة . . وأخذ تفسيرُ الألفاظ بحسب
السياق طابعاً علمياً واضحاً .

فهذا الراجب الأصفهائى ، وهو من
أوائل القرن الخامس الهجرى ، يحدثننا عن
العلوم اللفظية ، فيقول : « وذكرت أن
أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم
القرآن العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية
تحقيق الألفاظ المفردة ، فَتُحَصَّلُ معانى
مفردات ألفاظ القرآن ، فى كونه من أوائل
المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه . . .

وليس ذلك نافعاً فى علم القرآن فقط ، بل
هو نافع فى كل علم من علوم الشرع .
فالفاظ القرآن هى لُسْبُ كلام العرب ووربته
وواسطته وكرائمه . . .^(٢)

وقد أشار الزركشى فى كتابه البرهان
إلى صناعة الراجب فى فهم مفردات الألفاظ
ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ،
وذلك فى أثناء حديثه عن القسم من القرآن
الكريم الذى لم يرد فى تفسيره النقلُ عن
يُعتبر تفسيره . . يقول الزركشى :

« الثانى ما لم يرد فيه نقل من
الجمهور ، وهو قليل ، وطريق التوصل
إلى فهمه ، النظر إلى مفردات الألفاظ من
لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب
السياق ، وهذا يعنى به الراجب كثيراً فى
كتاب « المفردات » . فيذكر قيماً رائداً على
أهل اللغة فى تفسير مدلول اللفظ لأنه
اقتصر من السياق^(٣) . ويستدل الطبرسى ،
وهو من أكابر علماء الإمامية فى القرن
السادس الهجرى (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ)
على أن معنى « الدين » فى الآية الكريمة

(١) الراجب الأصفهائى ، ص ٣ .

(٢) الزركشى ، ج ٢ ص ١٧٢ .

هو « الجزء » . وذلك من خلال قوله تعالى : « الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (١).

وقوله تعالى : « لَا تَعْتَبِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (٢).

يقول الطبرسي : « الدين » معناه في الآية الجزء . قال الشاعر : (وأعلم بأنك ما تدن ثلثان) ، وهو قول سعيد بن جبير وقشاعة ، وقيل الدين الحساب ، وهو المروي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام وابن عباس ، والدين الطاعة .

قال عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا غرة طوال

عصينا الملك فيها أن ندينها

والدين العادة ، قال الشاعر :

تقول إذا قرأت لها وحيني

أهلاً دينه أبداً ودينى .

والدين القهر والاستعلاء . قال الأسي :

هو ذاك الرباب إذ كرهوا الد

ين حراكاً بغزوة وصيال

تم حانت بعد الرباب وكانت

كعذاب عقوبة الأقوال

وبدل على أن المراد الجزء والحساب ، قوله تعالى : « الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » . وقوله تعالى : « الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (٣).

وفي تفسيره « النعمة » من سورة الفاتحة يقول الطبرسي : وأصل النعمة المبالغة والزيادة ، يقال دقت الدواء فأنعمت دقته أي بآلغت في دقه ، وهذه النعمة وإن لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها . الخ (٤).

فقد استدل على معنى هذه اللفظة بياق الكلام الذي يدل على المعنى المراد

(١) سورة طه ، آية رقم (١٧) .

(٢) الطبرسي ، ج ١ ص ٣٠ .

(٣) سورة النجم ، الآية رقم (٧) .

(٤) المصدر نفسه .

واستمر المنهج اللغوي ، وفق سياق الكلام
يُمَدُّ ظلّاله على البحوث اللغوية والفقهية.
ويعرض الفقيه الفيلسوف ابن رشد
(٥٢٠-٥٩٥هـ) إلى هذه الظاهرة اللغوية ،
ويطلق عليها « دليل الخطاب » . ففي
حديثه عن أصناف الألفاظ التي تلقى منها
الأحكام من السمع ، يقول ابن رشد :
« وأما الطريق الرابع ، فهو أن يُفهم من
إيجاب الحكم لشيء ما ، نفى ذلك الحكم
عمّا عدا ذلك الشيء ، أو من نفى الحكم
عن شيء ما ، إيجابه لما عدا ذلك الشيء
الذي نفى عنه وهو الذي يُعرف « بدليل
الخطاب » . وهو أصل مختلف فيه ، مثل
قوله عليه الصلاة والسلام : « في سائمة
العنم الزكاة » .

فإنّ لوماً فهموا منه أن لا زكاة في غير
السائمة . وأما القياس الشرعي فهو إلحاق
الحكم الواجب لشيء ما بالشرع ، بالشيء .
المسكوت عنه ، لشبهه بالشيء الذي
أوجب الشرع له ذلك الحكم ، أو لعملة
جامعة بينهما ^(١) .

(١) ابن رشد ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) نقول : ابن رشد ، ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

وأن ما أسماه ابن رشد « دليل
الخطاب » ، إنما هو فهم المعنى المراد من
خلال دليل يتبّه عليه سياق الكلام ، وإذا
كان ابن رشد استطاع أن يرسم صورة
متكاملة لنظريته حول المعاني لكنداولة
المتأدية من أصناف الألفاظ ^(٢) ، فإن
معاصره من أبناء بلده ، الإمام الحفشي قد
جعلها محور منهجه في تفسيره غريب
السيرة .

واستمر هذا المنهج اللغوي الذي
أبصر نظريته ابن رشد وأصل أركانه
الحفشي في مجالسه العلمية والتعليمية ،
يتطور في دراسة الدلالات اللفظية ، بل
ويستعمل اصطلاحات لغوية تشير بصورة
واضحة إلى ما أضيف من جديد في علم
المعجمات .

وفي القرن الثامن الهجري ، لمجد
استعمال مصطلحات « سياق الكلام »
شائعة ، ولا سيما في مجال علوم القرآن
والحديث . يعدد الزركشي وهو من أبناء

القصود الشافعي الهجري (المتوفى سنة ٧٩٤هـ) ، معالم القانون الذي يجب أن يحوّل عليه في تفسير القرآن الكريم فيقول : « ومعلوم أن تفسيره ، يكون بعضه من قبل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض ، لبلاغته ولطف معانيه ، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يحوّل في تفسيره عليه ، ويرجع في تفسيره إليه ، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه ، وظاهره وباطنه ... » (١) وفي حديث الزركشي عن مصاحبة القرآن الكريم وبلاغته ويدهج سياقه يقول : « إن كان سياق الكلام ترجيحاً بـط وإن كان تخويهاً بـض ، وإن كان وعداً أبهج ، وإن كان وعيداً أزهج ... »

وأورد صاحب كتاب البرهان ، تحت عنوان : « في ذكر الأمور التي تُعين على المعنى عند الإشكال » قوله : « وما يعين على المعنى عند الإشكال أمور ... الرابع

دلالة السياق ، فإنها ترشد إلى تعيين المحمل والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ... وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم الفرائض الدالة على مراد المتكلم ، فمن أمثلة غلط في نظيره وغالط في مناظرته وانظر إلى قوله تعالى « فَمَنْ أَهْمُهُ غُلَطٌ فِي نَظِيرِهِ وَغَالِطٌ فِي مَنَاطِرِهِ » وانظر إلى قوله تعالى « فَمَنْ أَهْمُهُ غُلَطٌ فِي نَظِيرِهِ وَغَالِطٌ فِي مَنَاطِرِهِ » (٢) كيف نجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير (٣) . ويشبه الحديث عن « السياق » ودلالة السياق « وتنوع الدلالة » في قوامع كثيرة من كتاب « البرهان في علوم القرآن » وبمفصل القول في التفسير بحسب ترتيب الألفاظ وتركيبها ... ومما له دلالة كبيرة في بناء معالم هذه النظرية اللغوية ، أن الزركشي قد تحدث في كتابه المشار إليه عن « معنى المعنى » إلى جانب المصطلحات المعنوية الأخرى ، ففي حديثه عن التفسير بحسب تركيب الألفاظ ، يقول : « وأما بحسب التركيب ، فمن وجوه أربعة : الأول : باعتبار كمية التركيب بحسب الإعراب ومقابلته ، من حيث إنها مؤدبة

(١) الزركشي . ج ١ ص ١٥ .

(٢) سورة الفخار الآية (٤٩) .

(٣) الزركشي . ج ٢ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

أصل المعنى ، وهو ما دلَّ عليه المركب بحسب الوضوح وذلك متعلق بعلم النحو .

الثاني : باعتبار كيفية التركيب من جهة « إقادته معنى المعنى » أعنى لازم أصل المعنى الذى يختلف باختلاف مقتضى الحال فى تركيب اللفظ وهو الذى يتكفل بإبراز محاسنه علم المعانى^(١)

وكذلك يحده يتحدث فى هذا الباب من « طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقيقتها ومواطنها . . . » ولا شك أن الحديث عن الدلالة يعنى الحديث عن العلاقة بين « البدل » و « المدلول » وقد عنى الحشنى فى كتابته اللغوى الذى اتخذ من تفسير غريب السيرة إلى جانب الدلالة السياقية بالدلالة المحوية والدلالة الاشتقاقية وكذلك الصروق الدلالية للمعترك اللفظى واللفظه الواحدة التى إذا تحيرت إحدى حركات بينها ، تغيرت دلالتها . .

ويبدو أن الدراسات حول المعنى المراد من خلال سياق الكلام ، قد اتسع نطاقها

(١) الرذكى ، ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٢) الشاطبى ، ج ٢ ص ٨٧

فى هذا القرن ، وهى فى كليتها تدور حول علاقة المعجمية بعلم الحديث وأصول لغته ، وقد أجعل الشاطبى (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ) وهو من معاصرى الرذكى ، الحديث عن هذا المهج اللغوى فى فهم المعانى ، فقال فى كتابه (الموافقات فى أصول الشريعة) : « . . . أن يكون الاعتناء بالمعنى المبثوثة فى الخطاب هو المقصود الأعظم » بناء على أن العرب ، إنما كانت عنتها بالمعنى ، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها ، وهذا الأصل معلوم مما عمل العربى . فاللفظ هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد ، والمعنى هو المقصود ، ولا أيضا كل المعانى ، فإن المعنى الإفرادى قد لا يُعبأ به إذا كان المعنى التركيبى معهودا^(٢)

ويوضح الشاطبى هذه العلاقة الياقية بين البدل والمدلول فيؤكد البحث عن المعنى المقصود الذى يقوم عليه جوهر الخطاب فيقول : « فاللزام الاعتناء بمعنى

الخطاب لأنه المقصود والمراد ، وعليه ينشئ
الخطاب ابتداءً وكثيراً ما يُفعل هذا النظر
بالنسبة للكتاب والهيئة فُتَلَّتْ غرائب
ومعانيه على غير الوجه الذي ينبغي ،
فَتَسْتَبْهِمُ على المُتَمَسِّمِ وَتَسْتَعْجِمُ على من
لم يفهم مقاصد العرب ^(١) .

لقد بينا فيما سبق كيف أن الخشني
يحرص في منهجه المعجمي على إبراز
معنى اللفظة حسب سياق الكلام ، سواء
أكان ذلك وفق مقتضى المقال أم وفق
مقتضى المقام .

وعى مجال « الدلالة النحوية » نورد
بعض الأمثلة التالية :

يقول الخشني : وقول من هشام :
الأيائل الحماحات ، ولم تتكلم لها العرب
بواحد ، قال النحويون : واحداً في
القياس « إِيْلٌ وإِيْلٌ » ^(٢) .

وقوله : ومطموم من قولهم طم الماء
وطمًا إذا علا وارتفع وقول الراجز :
فَصَبْرُوا مِثْلَ كَعَصَبٍ مَأْكُولٍ

(١) الشاطبي، ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) نظره الخشني، ج ١ ص ٩١ .

قال : ولهذا البيت تفسير في النحو ،
تفسيره ، أن الكاف راللة لكونها قد تكون
حرفاً ، و « مثل » لا تكون إلا اسماً ،
فزيادة الحرف الأولى من زيادة الاسم والمراد
لزيادة التأكيد ^(٣) .

وقوله : « لم يؤوبوا أرضهم » أي لم
يرجعوا إلى أرضهم يقال آبى إلى كذا أي
رَجَعَ إليه ، وكان وجه الكلام أن يقول :
إلى أرضهم ، محذوف حرف الجر وأوصل
الفعل ^(٤) .

وكذا أولى الخشني الدلالة الاشتقاقية
اهتماماً فقد يتعرض ووجه الاشتقاق ثم
يمضي المشهور منها والشائع مثال ذلك
قوله :

« وما بعد ذلك - أي بعد معد بن
عبدان - فهي أسماء أعجمية منها
ما يوافق العربي في الاشتقاق والتصريف ،
ومنها ما يحالاه ... » ولؤى تصغير
لأي وهو البشور الوحشي ، وقد يكون

(٣) الخشني، ج ١ ص ٩٠ .

(٤) الخشني، ج ١ ص ٩٢ .

تصغير كَأَيٍّ وهو البسط، والمشهور فيه الهمز .^(١)

وقد يستعمل من وجوه الاختلاف في اللفظ ، ويقع عند الدلالة الصرفية ، مثال ذلك قوله : وإِليَّاس مختلف فيه ، منهم من يقول فيه : إِيَّاس موافق للمنى هر خلاف الرُّجاء ، وهو مصدر يئس . ، ويستدل على ذلك بقول رؤية بن العجاج : أئمتنى خُتُف وإِيَّاسُ أَيْ .

ويقول ابن جرير :

أصيب بذيئ يئس فهو مُؤدِي لِمَعْنَى

هالك .

وبعضهم يقول فيه : إِيَّاسُ بِكسر الهمزة^(٢)

وقوله : إِيَّاس : منهم من يكسر همزته ويقطعها ، كأنه سمي بمصدر الخف في المسألة إذا مالغ فيها ، ومن قوله تعالى .

لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا . . .^(٣) ومنهم من يجعل الالف واللام فيه لتعريف ، بمنزلة اسم الفاعل من : حَتَّى يَحْتَمِيَ^(٤) .

وقوله : الْقَلْبُوسُ هو اسم الكنية التي بَيَّسَ ، وهو مشتق من قَلَسَ الشيء ، إذا ارتفع^(٥)

وقوله : الْأَكْرَاشُ الجماعة من الناس ، وهو جمع أكراش ، وأَكْرَاشُ جمع كِرَاشٍ والكِرَاشُ الجماعة من الناس ، فهو على هنا جمع الجمع . . .^(٦)

وقوله : كُورَةُ الْقَطَا ، الْوَرْدُ هَا هُنَا الْوَرْدَةُ لِلْمَاءِ ، سميت باسم المصدر^(٧) .

ويقف الحنسي أيضا عند اللفظة الواحدة التي إذا تضرعت إحدى حركات بينها تغيرت دلالتها ، ، مثال ذلك قوله : إِيَّالَ بِكسر الحاء ، جمع حِيلَة ، وهي جماعة البيوت ، وإِيَّالَ يفتح الحاء خلاف الحرام^(٨) .

(٢) الحنسي ، ج ١ ص ٧٣ - ٧٤ .

(٤) الحنسي ، ج ١ ص ٧٥ .

(٦) الحنسي ، ج ١ ص ٧٠ - ٧١ .

(٨) الحنسي ، ج ١ ص ٨٨ .

(١) الحنسي ، ج ١ ص ٧٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

(٥) الحنسي ، ج ١ ص ٨٧ .

(٧) الحنسي ، ج ١ ص ١٢١ .

وقوله : الأدماء من الظباء السمر
الظهور الأبيض البطن والأدمة في الإبل
البياض الخالص ، والأدمة في الأدميين أن
يميل اللون إلى السمر قليلا .^(١١)

وقوله : ومن روى عقد ذات بطاف ،
نكر العين ، فأنطاف جمع نطفة ، وهي
القرط الذي يملأ من الأذن ، ومن روى
عقد بفتح العين ، فأنطاف جمع نطفة من
الماء ، وهو القليل الصافي منه^(١٢)

وقوله : العنق، بفتح العين التحلة
وبكر العين الكياسة وهو عقليود
الحلة^(١٣) .

وبفتح الحشى عهد اللعطة الراحمة ،
التي إذا تعبر أحد حروف بيتها في وجه
من وجوه الروايات تعبرت دلالتها، مثال
ذلك قوله :

« يقال : أحقرت الرجل ، إذا نقصت
عهده ، ونحقرته ، إذا أجرته^(١٤) »

وقوله : « كالإبل الظراب ، يروى
بالطاء معجمة ، وبالطاء غير معجمة .
ومن روى بالطاء معجمة فهو جمع ظرب
وهو الجبل الصغير ، شبه الإبل بها ،
ومن روى بالطاء المعجمة فهي الإبل التي
حلت إلى مواطنها واشتافت . يقال ،
طربت الإبل إذا حلت^(١٥) »

وقوله : والعجر بالجيم المعطاء ،
ويأخذ بالمعجمة السقخر^(١٦) ، وقوله :
« وأبلغ بالجيم مشهور ، وبالطاء متكبر .
وليزن الجرود بالجيم ، ومن الععط ، لأنه
بحرارة الأرض من النبات ، ومن روى بالحاء
المهكلة^(١٧) فمعناه الذي يمتنع قطره ، لأن
حرارة قد تكون بمعنى قطع ومنتع . ومنه
قولهم : حاردت الساعة إذا سمعت دنها أي
ليها^(١٨) »

وبمعنى الحشى في تعبيره الغريب ،
بأيراد الروايات المختلفة ، وقد يدرش هذه
الروايات فيذكر المصدر ، وكثيراً ما يسكت

(١) الحشى - ج ١ ص ٩١ .

(٢) الحشى - ج ١ ص ١٥٢ .

(٣) الحشى - ج ١ ص ١٢٣ -

(٤) الحشى - ج ١ ص ١٣٩ .

(٥) الحشى - ج ١ ص ١٤٢ .

(٦) الحشى - ج ١ ص ٨٩ .

(٧) الحشى - ج ١ ص ١٢٨ .

عن المصدر ، ويصوب ما يراه ، معتمداً
رأيه . وهو الحجة في اللغة ، كما تجمع
المصادر التي تحدثت عنه ، مثال ذلك
قوله :

وقوله : في ولد إسماعيل : وطيماء ،
كذا وقع هنا بالطاء المهملة مكسورة
ومفتوحة . وقيل الدار قطنى : وطيماء
بالغاء المعجمة ممدوداً وتقديره لليم ^(١) .

فقد أورد الحشنى الروايتين وصطهما ،
وأورد مصدره في رواية أخرى . وقوله
«مضاض» . يقال . مضاض بكر ^(٢) اليم
أيضاً ^(٣) .

وقوله : «أسلم» هما بضم اللام
وفتحها ، واسلم بضم اللام هو
الصواب ^(٤) .

وقوله : «وجروب حجارة سود كذا»
قال السوقي ، وهى روايته . ومن رواه
حروث فهو جمع حرث ^(٥)

(١) الحشنى ج ١ ص ٧٤ .

(٢) الحشنى ج ١ ص ٧٤ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) الحشنى ج ١ ص ٧٦ - ٧٧ .

(٥) الحشنى ج ١ ص ١٠٦ .

وقوله بعد أن عرض الروايات المختلفة
لكلمة «اللتق» : «واللتق» وما يشترط
على ذلك من اختلاف فى المعنى مبدئياً رأيه
على عادته فيقول : واللتق بالثاء المثلثة هو
الصواب هنا ^(٦) .

وقوله : «وقم عظم» ويورى فقم
بكر القاف ، والصواب فتحها ^(٧)

وقوله : «وقع فى الرواية فطلع بضم»
انما وفتحها . قال الشيخ الفقيه أبو زر
رضى الله عنه : والصواب نطق بفتحها
«علم وزن حكم» ^(٨)

وقوله : «ومشاجبها جمع مشجب» ،
تظهر هنا تعلق عليه الشباب ، ورواية
الحشنى مسحها . وقال : هى الثلاث فى
العش من قرئ كل نو حيره ^(٩)

وقوله : «والمرباع السدى رعى فى»
الرئيس . ورواية الحشنى المربع بالسياء
المقوطة باثنتين من أسفل ، وقال : هو
مفعال من راع إلى كذا يريج أى رجع ^(١٠)

(٦) المصدر نفسه .

(٧) الحشنى ج ١ ص ٨٥ .

(٨) الحشنى ج ١ ص ٩٨ .

(٩) الحشنى ج ١ ص ١٠٣ .

وقوله :

« وقول الشاعر في بيته : حُرٌّ
المصائل . أراد جمع فُصْلان ، وفُصْلان
جمع فُصِيل ، وهو الصغير من الإبل
والصواب الوصائل ، وهو جمع وَصِيلَة .
وقد قرأها ابن إسحاق وابن هشام^(١) .

وقوله :

الحَلَى اسم موضع فيه ماء ، وقال
بعضهم : هو اسم نبات . وهذا غلط ،
لأن اسم النبات هو الحَلِيّ بتشديد الهاء
ويكرر اللام^(٢) .

وقد يذكر الحشنى مختلف الروايات^(٣)
ويوثق بعضها ويصورها مثل ذلك قوله :
« وَبِحِلَامَةِ ابْنَةِ الْحَارِثِ ، هَكَلًا رَوَى بِضَاءٍ
معجمة مكسورة ودال معجمة ، وروى
أيضاً وَجْدَامَةً بجيم معجمة ودال مهملة ،
وحذافة بحاء مهملة ودال معجمة وحاء
قيدها أبو عمر النخري^(٤) وهو الصواب^(٥)

(١) الحشنى، ج ١ ص ١٠٦

(٢) الحشنى، ج ١ ص ١٣٣

(٣) الحشنى، ج ١ ص ١٥٣

(٤) الحشنى، ج ١ ص ١٢٢

(٥) الحشنى، ج ١ ص ١٣٠

(٦) الحشنى، ج ١ ص ١٠١

وقوله : الطَّى ، ويقال الطَّوى ،
وكل بمعنى واحد ، فلبس كذلك ، لأن
الطَّى بمعنى الحجارة التى طوى بها البئر
سميت بالمصدر ، والطَّوى هى البئر
نفسها^(٦) .

وقوله : « أَحْيَيْهَا لِهَ بِالْعَقِيرِ ، أَى
بالحفر وبالحرس ، يقال فَرَّتْ الارضُ إِذَا
حَفَرْتُهَا ، ومنه سميت البئر فقيراً ، وقال
الوقشي : الصوابُ هنا بالعقير ، وأراد
الوقشي هنا المصدر وهو الأحسن^(٧) .

وعنى الحشنى لى مهججه فى تعبير
الفرجى بالفراءات القرآنية ولغات العرب ،
مثال ذلك قوله :

« يقال : آتَى الشَّيْءُ أُنًى وَأَنْ ، ثلاثُ
لغات بمعنى واحد فى معنى حان^(٨) .

وقوله : « هَلُمُّوا إِلَى ثَوْبَا ، هى كلمة
سمى بها الفعل ، وفيها لعتان ، فلفظة أهل
الحجاز أن لا يثثروها ولا يجسمعوها

ولا يؤسثوها . ولغة غيرهم أن يُسثوها
ويجمعوها ويؤثثوها . وجاء القرآن على
لسنة الحجارة . قال الله عز وجل :
«وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا»^(١)
ومعناها اقبلوا إلينا^(٢)

وقوله : ما ودَّعه وما قلاه . وفي
رواية الخنسي ودَّعه بالتحفيف ، وهي لغة
شاذة . وقد روى في بعض التفردات :
ما ودَّعَكَ رَبُّكَ بالتحفيف ، وما قل أي
ما انسحبك . يقول قَلَبْتُ الرجل إذا
أَنصَبْتُهُ^(٣)

والى جانب عنائه بلمعات العرب ،
عنى بالبحث في أصول الالفاظ السديفة
مثال ذلك قوله : «لَبَابُ لَبَابٍ» قد كَثُرَ
اس إسحاق ، ويقال : لَبَابُ كلمة
فارسية معناها القَمَلُ القَمَلُ أي الرُّجْعُ
الرُّجُوعُ^(٤)

وقوله : اسْتَرْطَبَانِ ، أن معناها
أَخَذَتْهُ النَّارُ بالفارسية^(٥)

وقوله : « والمرأبة » ورواه الفرس
واحدهم مَرَّبان^(٦) .
وقوله : « والأسْبَدُ » بالفارسية
الفرس^(٧)

وقوله : « السُّيد » بلغة فارس شعاع
الشمس^(٨) .

ويحاول الخنسي أن يشرح الالفاظ
الحميرية التي دخلت العربية في مسيرة ابن
شعاع ، مثال ذلك :

قوله : الْأَمْسُ الثَّكُّ بلغة حمير^(٩)
وقوله : « والشاتر الأصابع بلغة
حمير ، واحدها شِيرٌ »^(١٠) .

وقوله : « وَتَحْمَسُ » بلغة حمير
الراس^(١١) .

وبحده معنى بتحديد الالفاظ التي
أصبحت لها دلالات اصطلاحية ، سواء

(١) سورة الأحزاب الآية ١٨ .
(٢) الخنسي ، ج ١ ص ١٦٠ .
(٣) الخنسي ، ج ١ ص ٨٣ .
(٤) الخنسي ، ج ١ ص ١٢٢ .
(٥) الخنسي ، ج ١ ص ٧٨ .
(٦) الصدوق

(٧) الخنسي ، ج ١ ص ١١٧ .
(٨) الخنسي ، ج ١ ص ٨٢ .
(٩) الخنسي ، ج ١ ص ٩٧ .
(١٠) الخنسي ، ج ١ ص ١٩٢ .
(١١) الخنسي ، ج ١ ص ٨٢ .

أكانت ألفاظاً دخيلة أم مأخوذة من أصل
عربي ، مثال ذلك : قوله : اللّهفان شيخ
القرية ، المعارف بالعلاحة وما يصلح
بالأرض من الشجر ، يلجأ إليه في معرفة
ذلك ^(١)

وقوله : لا قَطْرُ النَّارِ : هو خادمها
الذي يخدمها ، ويصحبها من أن تطعم
لتعظيمهم إياها ^(٢)

وقوله : الأسقف في الكنيسة هو
عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم ،
ويقال : أسقف بالتخفيف أيضا ^(٣)

وقوله : أصل الناموس هو هَتَمَتِيَا
سر الرجل في خيمته وشعره ، فعبر عن
الملك الذي جاءه بالوحي به (لقد جاء
الناموس) ^(٤)

وقوله : والسجع أن يكون الكلام
المشهور له نهايات كنهيات الشعر

وقوله : الشماسة عباد الروم ^(٥) .
وقوله : والآباء القبائل المختلطة ^(٦) .
وقوله : والفَيْجُ الذي يسير للمسلطان
بالكتب على رجليه ^(٧) .

ويبحث الحنني متى كثير من الأحيان
في أصول معاني الألفاظ التي يقوم
شرحها مثال ذلك :

قوله : الصالح الناهب على وجه
الأرض للعبادة ، لا يستقر بمكان ، أخذ
من الماء السائح وهو الناهب على وجه
الأرض ^(٨) .

وقوله : الشَّهْمَةُ الواسعة المتطامنة ،
ولذلك قيل لما اتحصن من أرض الحجاز
نَهْمَةً ^(٩)

وقوله : والقُروم سادات الناس ،
وأصله القحور من الإبل ^(١٠)

(٢) المصدر ص ١٥٩ .

(٤) الحنني ، ج ١ ص ١٥٩ .

(٦) الحنني ، ج ١ ص ١٨٦ .

(٨) الحنني ، ج ١ ص ٨٣ .

(١٠) الحنني ، ج ١ ص ١٢٨ .

(١) الحنني ، ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) المصدر ص ١٥٩ .

(٥) الحنني ، ج ١ ص ١٨٥ .

(٧) الحنني ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٩) الحنني ، ج ١ ص ٧٧ .

وقوله : والكهَّامُ الذي يفصِّر في
أموره ، مأخوذ من السيف الكهَّام ، وهو
الذي لا يقطع ^(١) .

وقوله : « والهُيَّامَةُ الكثير الهَيَّام »
وأصل الهَيَّام داءٌ يصيب الإبل فتشتد حرارة
أجوافها فلا تروى من الماء إذا شربت ،
ومنه قوله تعالى : « فَتَسَارِبُونَ شُرْبَ
الْهَيْمِ » ^(٢) .

ويستقى الخشنى مسواذه التي يستدل
بها على صحة المعلومة اللغوية التي يوردها
من آيات القرآن الكريم ومن أشعار عصر
الاحتجاج ، ومن الأمثال ، وأقوال بعض
البلغاء ، على حد تعبيره . . وقد يكتفى
بإيراد شطر البيت الذي تضمن وجه
الشاهد . . وغالباً ما يحرص على نسبة
الشاهد إلى قائله .

وكان الخشنى في غالب الأحيان يذكر
مصانده ، لأميماً عندما تكون هنالك

روايات مختلفة ، فتراه يذكر إلى جانب
ابن إسحاق وابن هشام ، كراع النحل وابن
حبيب وصاحب كتاب « العين » ، وأبا
عبد البكري وأبا علي الغنَّاسي والدارِ
قطنى وأبا عبيدة معمر بن المثنى والسائب
الكندي وعبد الغنى الحافظ المصري
والوقشي . . وفي كثير من الأحيان يستند
إلى مجهولين فيقول : « قالوا » ^(٣) . . وقال
بعض اللغويين . . وقال بعضهم . . .
دون أن يعين القائل .

وما يجدر ملاحظته أن الخشنى لم
يذكر من بين أصحاب المعجمات الذين
سبقوه سوى صاحب كتاب العين . .
واكتفى بالإشارة إليهم بعبارات مبهجة
مثل : قالوا ، وقال بعض اللغويين ، وقال
بعضهم . . إلخ . . وربما كانت هذه
الظاهرة تمتنع أن تدرس

لقد اهتم الخشنى بشرح غريب آيات
الشعر الواردة في سيرة ابن هشام ، والفرد

(١) الخشنى ، ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٥٥ . وفي النص نظر : الخشنى ج ١ ص ١٥٠ .

(٣) نظر : الخشنى ، ج ١ ص ٨٠ .

لها عناوين خاصة ، ولكنه في الواقع لم يقتصر على غريب الشعر ، ولكنه تجاوز ذلك إلى شرح غريب ما ورد في حوادث السيرة . وربما كان من الضروري أن تتوقف عند مفهوم كلمة « غريب » عند الخشني . وإن الدارس لكتابه (شرح غريب السيرة) ، يخرج بأن لكلمة « غريب » مفهوماً خاصاً عنده ، ونرى أنه يعني بالغريب جميع الألفاظ التي يصعب فهمها على الشاذين والتلامذة المبتدئين . فمن الطبيعي أن يضم مجله للألفاظ والتدريس تلاميذ من أجناس مختلفة من العرب والأعاجم التي يتكون منها المجتمع الإسلامي . . . ولذا نراه يشرح أحياناً ألفاظاً مألوفة بمعناها العام ، كأن يشرح لفظة « أجل » بمعنى « نعم » . . إلخ .

وسلك أبو ذر في منهجه هذا منهجاً تعليمياً ، وربما أعاد شرح اللفظة بعينها ، غير مرة ، فهو يملئ كتابه هذا على التلاميذ من « حفظه بلفظه » ، قاصداً شرح ما استبهم من غريب ومعانيه .

ويقودنا هذا البحث إلى القول إن هذا الفر الجليل الذي وضعه أبو ذر الخشني لطلابه يعتبر إضافة جديدة في علم وضع المعجمات ، وكذلك فيما يتعلق بالبحث في المرادف والمشارك من الألفاظ وقد جعل من فهم المعاني من « سياق الكلام » والتدريس تلاميذ من أجناس مختلفة من العرب والأعاجم التي يتكون منها المجتمع الإسلامي . . . ولذا نراه يشرح أحياناً ألفاظاً مألوفة بمعناها العام ، كأن يشرح لفظة « أجل » بمعنى « نعم » . . إلخ .

فريب السيرة . ولا شك أن هذا المنهج المخرى يجد جذوره التاريخية في المصنفات التي سبقته وفيما أسماء الجاحظ قبل ذلك بعدة قرون « لكل مقام مقال »^(١)

عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن

★ ★ ★

(١) انظر: الحيوان، ج ٢ ص ٤٣ ، البيان والتبيين، ج ١ ص ١٤٥ .

المصادر والمراجع

- ١ - إبراهيم بن مراد ، دراسات في المعجم العربي ، بيروت ، سنة ١٩٨٧ م .
- ٢ - ابن الأثير - أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البليسي التكملة لكتاب الصلاة ، السفر الأول ، مجريط ، سنة ١٨٨٦ م .

- ٣ - ابن رشد - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ١-٢ ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

- ٤ - الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، ج ١ - ٧ ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- ٥ - الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج ١-٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

- ٦ - الخشنى - أبو ذر مصعب بن أبي بكر محمد بن محمود الخشنى ،

- (المتوفى سنة ٦٠٤ هـ) ، الإملاء المختصر في شرح غريب السير ، ج ١-٢ ، تحقيق ودراسة د. عبد الكريم خليفة ، عمان ، ١٩٩٠ م .

- ٧ - الذهبي - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١ - ٢٥ ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- ٨ - الراغب الأصفهاني - أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل ، (كان في لؤلؤة الملة الخامسة) ، المقدمات في غريب القرآن ، مصر .

- ٩ - الزركشى - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، البرهان في علوم القرآن ، ج ١ - ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، سنة ١٩٧٢ م .

- ١٠ - السيوطي - بهلول الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ، الإيقان في علوم القرآن ، ج ١-٢ .

- ١١ - المسيوطي - جلال الدين
عبد الرحمن السيوطي ، بغية الوعاة في
طبقات اللغويين والنحاة ، ج ١ - ٢ ،
تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، مصر ،
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٢ / - الشاطبي - أبو إسحق إبراهيم
أبن موسى اللخمي الشرناطي المالكي
(توفي سنة ٩٧٠ هـ) ، المواقف في أصول
الشرعة ، ج ١ - ٢ مصر .
- ١٣ - الطبرسي - أبو علي الفضل بن
الحسين ، (توفي سنة ٥٤٨ هـ) ،
مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج ١ - ١٠ ،
عبد ، سنة ١٣٣٣ هـ .
- ١٤ - محمد المبارك ، فقه
اللغة وخصائص العربية ، بيروت ،
سنة ١٩٦٨ م .

